معاملة المسلمين الحسنة لأهل الذمّة في الأندلس
سمة بارزة من سمات التسامح والوسطية

بقلم
أ. محمد عيساوة
قسم العلوم الإنسانية ـ جامعة باجي مختار ـ عنابة
aissaouamed@yahoo.com

ملخص البحث

لعب الوجود العربي الإسلامي في الأندلس (إسبانيا) دورا حضاريا كبيرا، كان له الأثر البارز على بلاد الغرب المسيحي بصفة عامة، وعلى الخارطة الجغرافية لإسبانيا بصفة خاصة، إذ بمجرّد دخول العرب المسلمين إلى إسبانيا سنة 92ه/ 711م، تكون البلاد قد دخلت طورا جديدا في حضارتها، حيث أعطى الفتح الإسلامي للأندلس نفسا جديدا مغايرا لما كانت عليه من قبل.

ولعلّ الشيء اللاّفت للنّظر في حضارة الأندلس بعد دخول المسلمين هو التسامح الكبير و المعاملة الحسنة التي أتى بها الفاتحين الجدد، الأمر الذي ترك جميع عناصر المجتمع من سكان أصليين (مسيحيين ويهود)، ووافدين جدد من (عرب وبربر وصقالبة) ينصهرون ضمن وحدة اجتماعيّة واحدة شكّلت فسيفساء فريدة من نوعها، إذ ميّزتها خصائص حضارية مشتركة، وانسجام وتناغم اجتماعي ملحوظ، رغم ما كان يظهر أحيانا من نعرات التّعصّب التي لم تكن سوى استثناءات في تاريخ الأندلس.

من خلال هذا التمهيد نحاول في هذه الورقة أن نعطي مظاهرا مختلفة للمعاملة الحسنة التي كان يلقاها أهل الذمّة في الأندلس من طرف المسلمين الذين طبقوا وسطية الإسلام واعتداله، وحاولوا تمثيلها أحسن تمثيل، الشيء الذي ترك العديد من أهل الذمّة (المسيحيين واليهود) يدخلون في الدين الإسلامي طواعية دون إكراه.

مقدمة:

يمثل الإسلام بصفته خاتم الرسالات السماوية، الدّين الكامل والمتكامل، والمكمّل للرسالتين السابقتين: اليهودية والمسيحية، إذ لم يأت لمحاربة هاتين الرسالتين، بل جاء لاستكمالهما، والإيمان به يقضي حتما الإيمان بهما، ومن هذا المنطلق أصبح لمعتنقي هاتين الديانتين ممّن دعاهم الإسلام "أهل الكتاب"، أو "أهل الذمّة"، إذا كانوا داخل المجتمع الإسلامي وضع خاص، ومكانة مميّزة داخل المجتمع، ولمّا كانت رسالة الإسلام موجّهة للإنسانية جمعاء، فقد وجب على حامل هذه الرسالة أن يعمل على تطبيق تعاليمها أحسن تطبيق، وأن يبذل في

نشرها أقصى مجهود، ولكن بالطرق السلميّة، دون عنف ولا إكراه، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[2].

وقد التزم المسلمون في الأقطار التي فتحوها بهذا المبدأ الداعي إلى حريّة اختيار العقيدة، واحترام عقائد الآخرين، فلم يفرضوا الإسلام على شعوب هذه البلاد، ولعلّ الأندلس التي كانت من آخر الأقطار التي فتحها المسلمون تقوم شاهدة على سيرة الدولة الإسلامية في تعاملها مع تلك الأقطار التي لم تلبث أن أصبحت جزءا من العالم الإسلامي[3].

وقد ظلّت الأندلس طيلة الحكم الإسلامي لها (92-897هـ/711-1492م) تمثّل أنموذجا فريدا للمعاملة الحسنة التي طبّقها المسلمون تجاه السكان الأصليين، من نصارى ويهود وغيرهم، باعتبارهم أهل ذمّة[4].

من خلال هذا التمهيد أردنا في هذه الورقة البحثية "معاملة المسلمين الحسنة لأهل الذمّة في الأندلس سمة بارزة من سمات التسامح والوسطية" أن نعطي صورة واضحة عن هذه المعاملة، ولعلّ من جملة التساؤلات التي يطرحها البحث:

- ما هي أهم مظاهر المعاملة الحسنة التي تعامل بها المسلمون مع أهل الذمّة في الأندلس؟
- هل كان لهذه المعاملة دور في التعريف بالإسلام؟ وأثرٌ في نشره؟

وعلى حسب حدود اطلاّعنا أنّ هذا الموضوع لم يحظ بدراسة مستقلة قط، عدا أنّه عُرّج عليه في صفحات بعض الكتب نذكر منها: - تاريخ النصارى في الأندلس لعبادة كحيلة، - اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس لخالد يونس عبد العزيز الخالدي، - التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية ملوك الطوائف لعلي عطية الكعبي، - تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس من بداية الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وهي عبارة عن رسالة ماجستير للباحث صالح إدريس محمد تقدّم بها إلى كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، - الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح، وهو عبارة عن ندوة صادر عن منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات بالمغرب.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، أمّا المقدمة فقد جاءت على شكل تمهيد تمّ فيه

---

(1) سورة النحل: الآية 125.

(2) سورة البقرة: الآية 256.

(3) محمود علي، مكي: "التسامح الإسلامي: الأندلس نموذجا"، ضمن كتاب الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، 2003م، ص61.

(4) أهل الذمّة: هم المواطنون من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، والذمّة كلمة معناها العهد والضّمان والأمان، وإنّما سُمّوا بذلك لأنّ لهم عهد الله وعهد رسوله، وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام، وفي كنف المجتمع الإسلامي آمنين، مطمئنّين، فهم في أمان المسلمين وضمانهم بناء على عقد الذمّة، فهذه الذمّة تعطي أهلها- من غير المسلمين- كافة حقوقهم بشروط بذلهم الجزية، والتزامهم أحكام القانون الإسلامي في غير الشؤون الدينيّة. انظر: عمر، قريشي: سماحة الإسلام، ط3، مكتبة الأديب، السعودية، 2003م، ص76؛ يوسف، القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د. ن، د. ت، ص05.

التعريف بالموضوع، وطرح إشكالاته، وكذا ذكر الدراسات السابقة التي تمّ فيها الإشارة إلى هذا الموضوع، في حين جاء المبحث الأول للتفصيل في مظاهر المعاملة الحسنة التي لقيها أهل الذمة في الأندلس من طرف المسلمين، وجاء المبحث الثاني للحديث عن أثر هذه المعاملة في نشر الإسلام في أوساط أهل الذمّة، وأعقبنا كل هذا بخاتمة تمّ فيها ذكر أهم النتائج التي خلُص بها البحث.

المبحث الأول: مظاهر معاملة المسلمين الحسنة لأهل الذمّة في الأندلس

إن روح التّسامح التي دخل بها الفاتحون الأوّلون الأندلس ورغبتهم في نشر التعاليم الإسلامية ببسط روح المحبة والأخوة والتعايش بين أفراد المجتمع، جعلتهم يعزمون على فتح حوار حضاري بين مختلف الأديان، وخلق جو من التآلف والانسجام[5].

فمنذ اللحظة الأولى التي فتح فيها المسلمون الأندلس، بدأت عقارب التّسامح تتسارع[6]، حيث عاملوا أهل البلاد معاملة حسنة لم يكونوا يعرفونها من قبل، فأزالوا عنهم الطبقية، وأطلقوا حريّاتهم في الملكية، وكفلوا لهم الأمن والاستقرار، وأقاموا بينهم العدل، وجعلوهم أحراراً في ديانتهم وأحكامهم[7].

كان لهذه المعاملة الحسنة أثرها الإيجابي في نفوس السكان الأصليين حيث جعلتهم يتقبّلون النظام الجديد، معترفين بصراحة أنهم يؤثرون حكم المسلمين على حكم الإفرنج أو القوط[8]، وقد برهنت السلطة الإسلامية في أغلب الأحيان على عقلها المتسامح إزاء رعاياها المسيحيين[9].

يقول بروفنسال: "ما من مكان في العالم الإسلامي، دون ريبة، كانت العلاقات فيه بين الإسلام والمسيحية ضرورة كما كانت في اسبانيا العربية"[10]، وبلغ من تسامح المسلمين وعدلهم ووسطيّتهم أن تعايش في بلاط الخليفة عبد الرحمان الناصر (300–350ه) كبار الأطبّاء والعلماء من أهل الملل الثلاث، فضرب بذلك أعلى مثل في التّسامح الدّيني الذي يعزّ نظيره[11].

وبقيت هذه المعاملة الحسنة سارية المفعول مع مختلف العصور التي عاشتها بلاد الأندلس تحت ظل الحكم الإسلامي، حتّى وإن اعترضتها في بعض الأحيان نداءات فقهية تميّزت بنوع من التعصّب والتشدّد، واستعمال

---

(5) سامية، جباري: الأدب والأخلاق في الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2009م، ص106.

(6) ابراهيم القادري، بوتشيش: "محطات في تاريخ التسامح بين الأديان والشعوب بالأندلس"، ضمن كتاب الحضارة الإسلاميّة في الأندلس ومظاهر التسامح، ط1، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، المغرب، 2003م، ص74.

(7) صالح ادريس، محمد: تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس من بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، كليّة الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، السعوديّة، 1414ه، ص345.

(8) ستانلي، لين بول: قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، د. ط، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012م، ص40.

(9) ليفي، بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، د. ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص79.

(10) ليفي، بروفنسال: المصدر السابق، ص79.

(11) محمد، بنشريفة: "حول التسامح الديني وابن ميمون والموحدين"، مجلة دراسات أندلسية، ع14، مطبعة المغاربيّة للطباعة والنشر والإشهار، تونس، جوان 1995م، ص13.

الحزم تجاه بعض الطوائف الدينية.

وبالرجوع إلى الواقع التاريخي نجد أنّ المجتمع الأندلسي تجاوز الخطوط الحمراء التي وضعها بعض الفقهاء، وتعامل المسلمون مع كل الطوائف الأخرى على أساس مبدأ الانفتاح على الآخر، بعيدا عن كل أشكال الاستعلاء والتميّز[12].

ولا تعوزنا الشواهد في تبرير ما نقول عن مظاهر هذه المعاملة الحسنة، فمن مظاهر هذه المعاملة القائمة على قدم المساواة نجد امتزاج العرب المسلمين بالمستعربين في كل الأماكن، ولعل تفحّص خريطة المستعربين تدل على أنّهم كانوا يحتلون مكانة اجتماعية متميّزة، حيث أقاموا في الحواضر الأندلسية الرئيسية مثل: غرناطة وأشبيلية وبلنسية ومالقة وغيرها من المدن الهامة[13].

وما يُقال عن المستعربين يُقال عن اليهود إذ اندمجوا هم الآخرين بالمسلمين في شتّى مجالات الحياة، فخالطوهم وابتاعوا منهم وجالسوهم[14]، لاسيما في الحواضر التي حوت على أعداد كثيرة منهم مثل غرناطة وأليسانة[15].

وأصبح من المألوف اختلاط هؤلاء في الأزقّة والأسواق، وفي المنتديات والمجالس، في القصور والمنيات[16]، هذا ما جعلهم في تواصل دائم مع بعضهم البعض، رغم ما تثبته المصادر من دأبهم على سكن أحياء خاصة بهم[17]، وهذا ليس من باب التحقير من شأنهم، بل لضرورة تفرضها عاداتهم وتقاليدهم، إذ توفّرت لهم في هذه الأحياء كل متطلباتهم، من حانات وأسواق تباع فيها الخمر ولحم الخنزير[18].

والملاحظ أن تمييزهم بأحياء خاصة بهم، لم يمنعهم من مخالطة مختلف شرائح المسلمين، ورغم تحذيرات الفقهاء من التعامل معهم فإنّهم لم يجدوا الآذان الصاغية[19]. إذْ كان المشهد في كل مدينة من مدن الأندلس عبر دروبها المركزية الضيّقة يعج باحتشاد الجموع من كل جنس ولون ولسان، وهي تروح وتغدو إلى السوق والحمّامات أو إلى المسجد و الكنيسة[20].

كما نجد أنّ بعضا من الفقهاء أنفسهم من كانت له صلة وثيقة بهم ذلك ما جاء على لسان الطرطوشي، من

---

(12) ابراهيم القادري، بوتشيش: المرجع السابق، ص74.

(13) نفسه، ص75.

(14) سامية، جباري: المرجع السابق، ص128.

(15) ابراهيم القادري، بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، د. ط، دار الطليعة، بيروت، 1997م، ص95.

(16) سامية، جباري: المرجع السابق، ص128.

(17) حسين، قصي: موسوعة الحضارة العربية، ط1، د. ن، بيروت، 2005م، ص54.

(18) سامية، جباري: المرجع السابق، ص107.

(19) ابراهيم القادري، بوتشيش: "محطات في تاريخ التسامح بين الأديان والشعوب بالأندلس"، المرجع السابق، ص75.

(20) مارغريتا لوبيز، غوميز: "المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس"، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة: أكرم، ذا النون، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ج1، ص270.

أنّ فقيها يدعى ابن الحصار كان له جار نصراني يقضي حوائجه وينفعه[21].

أما على صعيد الحياة اليومية فإنّهم لم يُمنعوا من تناول الخمور وأكل لحم الخنزير، ولم تُفرض عليهم قيود معيّنة في لباسهم[22]، ومن الشواهد أيضا على المعاملة الحسنة، التي هي ثمرة من ثمرات عدالة الإسلام وسماحته، ما كان يجده النصارى واليهود لدى قضاة المسلمين حين يُنصفونهم في مختلف أقضيتهم مع المسلمين فيحفظون عليهم مصالحهم، ويردّون إليهم حقوقهم مثلما يفعلون مع خصومهم من المسلمين مما احتفظت لنا به مجاميع النوازل ودواوين الأحكام وغيرها[23].

ففي عهد ملوك الطوائف (422-478هـ/1031-1085م) نجد أمثلة عديدة من الأحكام، في كتاب القاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي (ت486هـ)، تناولت أمورا تتعلّق بالرق أنصف فيها نصرانية، وبالردّة لم يوقع فيها الحد على صغير مرتد، وبالتّنازع على الملكية إذ أعطى صاحب الحق حقه، وفي البيوع والأحباس إذ طبّق حكم الشريعة بغير محاباة لأحد بسبب الدين، ولم يتهاون في التطاول على الدين الإسلامي اعتزازا بكرامته فأخذ بالعقاب من استهان به وأراد الحط من شأنه، وبخلاف على حضانة صغير مع وجود أب مسلم وجدة مسيحية لأم أُسندت إليها الحضانة على الرغم من وجود الأب المسلم[24].

وبقدر ما حرص القضاة المسلمون على النصح لأهل الذمة في دنياهم كما رأينا سلفا، حرصوا كذلك على النصح لهم في دينهم ويكفي أن نسوق مثالا على ذلك يكشف لنا عمّا كان قضاة المسلمين يحرصون عليه من إشعار أهل الذمّة بوجوب إجلال أماكن عبادتهم وتقديرها.

ذلك حين كانوا إذا دعت الحاجة إلى استحلاف أحدهم لفض تنازع بينهم وبين مسلم، يُلزمونه الذهاب رفقة شاهدين من أعوان القاضي إلى أعظم كنيسة في البلد ليؤدي اليمين في مكان له هيبة في نفسه[25]. مثال ذلك ما ورد في كتاب المعيار على لسان ابن رشيق الذي كان يعمل لدى القاضي في كتب الوثائق والعقود، "...فوجبت لمسلم على نصراني يمين في حق حُكم عليه بها، وأُمرت أنا وشاهد آخر بالحضور عليها ليتقاضاها المسلم منه على ما يجب، بحيث يُعظم النصراني من دينه، فتوجّهنا معهما إلى مجتمع أولئك الرهبان، بدار كان لهم فيا كنيسة يُعظمونها..."[26].

كل هذه الأمثلة تؤكد لنا مبلغ المعاملة الحسنة التي كان أهل الذمة يلقونها لدى القضاة المسلمين دون أي

---

(21) أبو بكر، الطرطوشي: سراج الملوك، د. ط، المطبعة الأزهرية، القاهرة، 1319هـ، ص154.

(22) عبادة، كحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، ط1، د. ن، د. م، 1993م، ص184.

(23) حسن، الواركلي: "فضاء التواصل الحضاري بين المسلمين وأهل الذمّة في آثار فقهاء الأندلس"، ضمن كتاب الحضارة الإسلاميّة في الأندلس ومظاهر التسامح، المرجع السابق، ص492.

(24) عيسى بن سهل، أبو الأصبغ: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاّف، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1980م، ص43.

(25) حسن، الواركلي: المرجع السابق، ص495.

(26) أبو العباس أحمد بن يحي، الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج11، ص155.

اعتبار لاختلاف أديانهم، كما تكشف لنا حرص القضاة على إسدال النصح لهم، ممّا يُفضي إلى فضاء رحب وشاسع للتعايش فيما بينهم في أمان واطمئنان.

وليس يقف الأمر في حسن معاملة أهل الذمة عند حدود النصح لهم في دينهم ودنياهم، ودفع الظلم عليهم، وصيانة كافة حقوقهم في مجالس القضاة، بل إنّه تخطى تلك المجالس إلى مجال أوسع يحدّده عقد الذمة، بما يضعه على عواتق المسلمين من مسؤولية حماية مُعاهديهم من أعدائهم وواجب هبوبهم للدفاع عنهم[27]. وهذا ما عبر عنه فقيه قرطبة ابن حزم الظاهري حين قال: "من كان في الذّمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ، فإنّ تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذّمة"[28].

وفي العصر المرابطي (478-541هـ/1085-1146م) ورغم تحذير كتب الحسبة من التعامل مع أهل الذمة، نجد أنّ السلطة السياسية المرابطية لم تلتزم بذلك، وهذا مردّه إلى التّسامح الذي انتهجه حكام الدولة مع اليهود والنصارى المعاهدين.

لذلك تشدّدت كتب الحسبة على القضاة والأمراء من أجل تطبيق أحكام الشريعة[29]، فعن لبن عبدون أنّه قال: "يجب ألاّ يحك مسلم اليهودي ولا النصراني، ولا يرمي زبله، ولا ينقي كنيفه، فاليهودي والنصراني كانوا أولى بهذا الصنع، لأنها صنع الأرذلين، لا يخدم مسلم دابة يهودي ولا نصراني، ولا يستزمل له ولا يضبط بركابه، وإن عُرف هذا أُنكر على فاعله"[30]، وفي موضع آخر يقول: "ويُمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين في منازلهم، والتكشيف عليهم، ومن إظهار الخمر والخنزير في أسواق المسلمين أو بما هو من أبّهة...ويُمنع المسلمين أن يحاولوا لهم كل ما فيه خساسة أو إذلال للمسلمين، كطرح الكناسة ونقل آلات الخمر، ورعاية الخنازير، وشبه ذلك لما فيه من علو الكفر على الإسلام، ويُؤدّب من فعل ذلك"[31].

كل هذه الصيحات من طرف ابن عبدون إن دلّت على شيء فإنّما تدل على واقع حدث فعلا برهن على مدى تسامح وتساهل السلطة المرابطيّة في معاملتها تُجاه أهل الذمة، وأنّ أطياف المجتمع الأندلسي كانت تتعايش مع بعضها البعض جنبا إلى جنب دون اعتبار لأي حواجز.

التزم المرابطون باحترام كل الحقوق الاجتماعية لأهل الذمة والضّرب على أيدي كل من حاول المس بها، حيث ورد عند ابن عذارى أنّ مجموعة من مستعربي غرناطة ذهبت إلى بلاط الأمير المرابطي علي بن يوسف(500-537هـ/1106-1142م) لتقديم شكوى حول التعسّف والجور الذي تعرّضت له من قِبل

---

[27] حسن، الواركلي: المرجع السابق، ص495.

[28] علي بن أحمد، ابن حزم: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، د. ط، مكتبة القدس، القاهرة، 1357هـ، ص67.

[29] محمد الأمين، بلغيث: نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص33.

[30] محمد بن أحمد، ابن عبدون وآخران: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، د. ط، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص48.

[31] نفسه، ص122.

عامل المدينة المسمّى عمر بن ينالة، فلمّا ثبت للأمير حجّتهم أمر بسجنه "وأنصفهم من ظلاماتهم"[32]، كما لم يجد القاضي ابن رشد (ت520ه) أي حرج في تحويل حكم كان لصالح مسلم إلى نصراني ثبت أنّ حقه قد هُضم[33].

كما أنّ الفتوى التي أصدرها الفقيه قاضي الجماعة بغرناطة أحمد بن محمد بن ورد إجابة على سؤال ورد إليه من الأمير المرابطي علي بن يوسف نفسه حول النصارى المعاهدين الذين رحلوا عن أشبيلية تدل أيضا عن حفظ المسلمين كافة الحقوق الاجتماعية لأهل الذمة، وفيها ينص على أنّ للرهبان والقساوسة ما لسائر أهل الذمة، من أنّهم إذا افتقر منهم مفتقر، وعجز لزمانه أيّ مرض، وهرم عن الاكتساب أن يُنفق عليه من بيت المال على سبيل الإنعاش أو على طريق الاحتساب[34].

وقد شارك أهل الذمة المسلمين في استغلال المرافق الاجتماعية حيث سُمح لهم باستقاء المياه مع المسلمين من بئر واحدة[35]، بل وصل الحد إلى السماح لهم بالخروج مع المسلمين في صلاة الاستسقاء[36].

ومن مظاهر المعاملة الحسنة للنصارى على عهد المرابطين هو توفير مقابر خاصة بهم تتماشى مع عوائدهم وتقاليدهم في دفن موتاهم، وتعرف هذه المقابر باسم مقابر الذميّين[37].

أمّا اليهود فقد عوملوا هم الآخرين بنفس المعاملة، إذ نجد المرابطون العائدون من معركة الزلاّقة (479ه/1086م) قد أعادوا لهم أملاكهم التي سبق أن فقدوها أثناء الثورة على الوزير اليهودي يوسف بن إسماعيل (ت448ه/1056م)، وقد فعلوا ذلك بالرغم من مشاركة يهود المناطق الإسلامية المحتلة مع النّصارى في تلك المعركة[38].

كل هذه الشواهد كافية على مدى ما اتّسمت به دولة المرابطين من تسامح اجتماعي مع أهل الذمّة، كما تعكس لنا مدى التعايش المشترك بين مختلف فئات المجتمع الأندلسي، بعيدا عمّا وصفها به الكثير من الباحثين

---

[32] أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان و ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، ج4، ص77.

[33] أبو الوليد محمد، ابن رشد: فتاوى ابن رشد، السفر3، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ص1619.

[34] محمود علي، مكي: "التسامح الإسلامي: الأندلس أنموذجا"، ضمن كتاب الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح، المرجع السابق، ص. ص69-70.

[35] ابن رشد: المصدر السابق: السفر1، ص. ص605-606.

[36] ابراهيم القادري، بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص75.

[37] ابن قيّم، الجوزيّة: أحكام أهل الذمّة، ط2، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص. ص158-159.

[38] مسعود، كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1990-1991م، ص216.

الغربيين من تعصّب[39].

بقيت هذه المعاملة الحسنة لأهل الذمّة سائدة في عموم الأندلس على عهد الموحدين، ومن بعدهم بني الأحمر، ففي عهد الموحدين (541-668ه/1141-1270م) لم تخرج معاملتهم لأهل الذمّة من حيث الأساس عمّا هو مقرّر في الشريعة الإسلامية.

أمّا ما ذكره عبد الواحد المراكشي (ت669ه/1270م) ، وما ذهب إليه ريموند من إكراه اليهود على اعتناق الإسلام في زمن الموحدين، عند قوله: "فقد أعلن الموحدون بكل وضوح أنّ أيّة ديانة غير الإسلام في بلادهم تُعد خروجا عن القانون وذلك انسجاما مع أصوليتهم المتطرفة"[40]. فيوجد ما يُنقضه فعند عبد الواحد المراكشي نجد تهافت السياق في كلامه إذ يقول في موضع: "ولم تنعقد عندنا ذمّة ليهودي ولا نصراني- منذ قيام أمر المصامدة- ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة، إنّما اليهود عندنا يُظهرون الإسلام ويصلّون في المساجد ويُقرئون أولادهم القرآن جارين على ملّتنا وسنتنا، والله أعلم بما تُكن صدورهم وتحويه بيوتهم"[41]. و في صدر خبر آخر له يذكر تمييز اليهود له في عهد المنصور بزي خاص وتغييره في عهد ولده النّاصر[42].

فعند التأمّل في هذين الخبرين نجد هناك تناقض في الكلام فمرّة يُقرّ بأنّه لم تنعقد ذمّة ليهودي ولا نصراني زمن الموحدين، ومرّة أخرى يتكلم عن الزّي الخاص باليهود، إذ لو أنّهم كانوا يُكرهون على الإسلام، ويضطرّون للتّظاهر به لما فُرض عليهم زيّا خاصا بهم كونهم أهل ذمّة.

ويكفي أن نسوق شاهدين اثنين للرد على آراء ريموند ومن نحى منحاه، أمّا أولهما فهو رواية المؤرخ الأندلسي المعاصر للموحدين ابن صاحب الصلاة التي يقول فيها: "وكان في بياسة سنة (553ه/1158م) عالم غرناطي يُدعى عبد الله بن سهل، يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود"[43]، ولو كانت الأندلس خالية من اليهود وأنّهم كانوا مضطرّين للتّظاهر بالإسلام كما تزعُم مصادرهم ودراساتهم، لما وُجد

---

[39] من بين هؤلاء الباحثين المتحاملين على المرابطين نذكر: دوزي(Dozy)، فيلار(Villard)، دوفروك(Dufourcq)، توراس(Terrasse)، انظر: إبراهيم القادري، بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص. ص70-71؛ عيسى، ابن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية اقتصادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص64.

[40] ريموند، شايندلين: "اليهود في اسبانيا المسلمة"، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة: مريم عبد الباقي، المرجع السابق، ج1، ص310.

[41] عبد الواحد، المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، د. ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963م، ص383.

[42] محمد، بنشريفة: المرجع السابق، ص17.

[43] عبد الملك، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة- تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين-، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص400.

يهود يحضرون الدروس في زمن حكم الموحدين للأندلس[44]. حسب تعبير ابن صاحب الصلاة، إذ لو كانوا مسلمين حتّى ولو بالتّظاهر لما سمّاهم باسمهم.

وأمّا ثانيهما فهو اشتهار عدد من الكتّاب اليهود في زمن الموحدين، أمثال يوسف زبارا الأندلسي(ت597ه/1200م) وهو صاحب كتاب "البهجة والسرور"، ولو أنّهم أُكرهوا على الإسلام لما لمعت أسمائهم كيهود، ولما مارسوا نشاطهم الفكري فيها[45].

لقد مارس الأحبار اليهود تعليمهم الديني بكل أريحية في زمن الموحّدين[46] فهذا موسى بن ميمون(ت601ه/1204م) نجده يتنقّل بكل حريّة هو وأسرته في أرجاء امبراطوريّة الموحّدين مغربا وأندلسا[47] فقد تتلمذ على يد يهوذا الكاهن في مدينة فاس عاصمة الموحّدين[48] فتنقّله هذا في حدّ ذاته يحمل بين طيّاته أبرز دليل على حريّة اليهود يومئذ في التنقّل بأنفسهم وأموالهم والإقامة والرحيل حيث يشاؤون[49].

أمّا رحلة موسى بن ميمون إلى بلاد المشرق، فتبدو أمرا عاديا مثل رحلات الكثير من الأندلسيين والمغاربة المسلمين الذين رحلوا إلى المشرق، وأقاموا به في نفس التاريخ، وقد كانت هذه الرحلات والهجرات في أوقات الفتن منذ سقوط نظام الخلافة في قرطبة، إلى ما تلاها من فتن في أواخر عصر الطوائف والمرابطين والموحّدين[50]، عكس ما يُروّج له البعض ممّن ترجموا لابن ميمون أنّه هاجر إلى المشرق بسبب الاضطهاد المزعوم في عهد الموحدين[51].

فمن بين الذين ترجموا لابن ميمون نجد الكاتب اسرائيل ولفنسون الذي سار في نفس الاتّجاه القائل باضطهاد الموحّدين لليهود، إذ نجده يُشنّع بهذا الاضطهاد الذي حلّ بالنّصارى واليهود على حدّ سواء على يد عبد المؤمن بن علي الكومي (ت558ه/1164م)، ويُقِر بأنّ هذه المعاملة كانت من أهم الأسباب التي أدّت إلى هجرة مجموعة من اليهود إلى شمال الأندلس، ومجموعة أخرى إلى جنوب فرنسا، فيما ذهبت بعض الأسر إلى مدينة المرية، وكان من بين هؤلاء الأسر، أسرة ابن ميمون التي حلّت بها سنة538ه/1143م عندما كانت في حوزة المسيحيين، وذكر بأنّ ابن ميمون قد حلّ في هذه المدينة في نفس الوقت الذي حلّ بها ابن رشد الفيلسوف (ت595ه/1198م)[52].

---

(44) خالد يونس عبد العزيز، الخالدي: اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (92-897ه/711-1492م)، د. ط، مطبعة ومكتبة دار الأرقم، فلسطين، 2011م، ص. ص257- 258.

(45) نفسه، ص258.

(46) نفسه، ص258.

(47) محمد، بنشريفة: المرجع السابق، ص20.

(48) عبد المجيد محمد، بحر: اليهود في الأندلس، د. ط، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م، ص89.

(49) محمد، بنشريفة: المرجع السابق، ص20.

(50) نفسه، ص20

(51) نفسه، ص19.

(52) إسرائيل، ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. م، 1936م، ص06.

ولعلّ الملاحظ فيما ذهب إليه ولفنسون أنّ التاريخ الذي ذكره غير صحيح، فالمرية لم تقع في يد المسيحيين إلاّ في 20 جمادى الأولى من عام 542ه الموافق 17 أكتوبر 1147م، كما أنّه من غير المعقول أن يكون ابن رشد دخل المرية وهي تحت حكم النّصارى، ولم يقل بهذا أحد ممّن ترجموا لابن رشد[53].

إنّ المتغيّر الوحيد الذي حصل في معاملة اليهود عند الموحّدين، ومن بعدهم بني الأحمر هو تمييز اليهود بزي خاص بهم، وحتى هذا التمييز لم يكن شيئا مستحدثا، إذ هو من الأمور المقرّرة في مدوّنات المذاهب الفقهية القديمة[54].

ما يُقال عن اليهود يُقال عن النصارى إذ عوملوا هم الآخرين بنفس المعاملة، إلاّ إذا استثنينا الفترة الانتقالية بين المرابطين والموحّدين، المعروفة بفترة التّمييز التي حصل فيها للمسلمين وغيرهم ما يحصل عادة في الفترات الانتقالية، ما عدا هذا فقد كانت علاقة الموحّدين بهم علاقة عادية[55]، إذ مارسوا حياتهم بشكل طبيعي، وامتزجوا بمختلف شرائح المجتمع، وهناك أمثلة عديدة حول المصاهرات التي كانت بين الموحّدين والنصارى ، إذ أنّ الكثير من خلفاء الدولة الموحّدية كانوا أبناء أمّهات روميّات[56].

أمّا على عهد أيّام بني الأحمر (668ه- 897ه/1270م- 1492م) فقد تمّ معاملة اليهود والنّصارى معاملة أهل الذمّة، إذ حافظ النّصارى في مملكة بني الأحمر على حضورهم البارز في الأندلس خاصّة في مجال التّجارة، كما كانوا يقيمون شعائرهم الدينية دون أدنى حرج[57]، وعليه حظي النّصارى برعاية هذه المملكة، كما حمت الكثير من سكان الشمال الاسباني الذين لجأوا إليها، واعتنق قسم منهم الإسلام[58].

وأمّا اليهود فقد عرفوا في ظل مملكة بني الأحمر حقبة طويلة من الهدوء بفضل رعاية الحكّام شؤونهم وتأمين مصالحهم، إذ عُدّ حكّام بني الأحمر أكثر الملوك تسامحا وأفضلهم في الحفاظ على مصالح اليهود وتأمين الحريّة لهم في ممارسة شعائرهم وتقاليدهم، ففي سنة(766ه/1367م)، استقبل السلطان محمّد الخامس (ت793ه/1391م) ثلاثمائة عائلة يهودية هربت من اضطهاد القشتاليّين ولجأت إلى غرناطة، وفي سنة (792ه/1391م) شهدت مناطق قشتالة وكتلونيّة وجزر البليار موجة اضطهاد حمّلت النّاجين من اليهود على الفرار إلى مملكة بني الأحمر[59].

وقد أدّت هذه السّياسة المتوازنة في تعامل سلاطين غرناطة مع اليهود إلى عدم قيامهم بأيّ تمرّد على

---

(53) محمد، بنشريفة: المرجع السابق، ص20.

(54) نفسه، ص20؛ عن المدونات الفقهية أنظر مثلا، كتاب المعيار للونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص254.

(55) محمد، بنشريفة: المرجع السابق، ص22.

(56) نوارة، شرقي: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين(524-667ه/1126-1268م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص78.

(57) يوسف شكري، فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993م، ص92.

(58) خليل إبراهيم، السامرائي وآخران: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000م، ص436.

(59) يوسف شكري، فرحات: المرجع السابق، ص98.

حكمهم، كما لم تقم أيّة انتفاضات شعبيّة ضدّهم[60] كتلك التي حدثت في عهد باديس بن حبوس[61].

كما أورد ابن الخطيب أخبارا تفيد بالمعاملة الحسنة التي كان يلقاها السفراء اليهود الذين تمّ استخدامهم من طرف حكّام الممالك النّصرانيّة في سفاراتهم إلى مملكة غرناطة[62]، ومن بين هؤلاء السفراء الحكيم بن زرزار[63]، ويوسف بن وقّار الاسرائيلي الطليطلي[64]، إذ تحدّث ابن الخطيب عن علاقته الحسنة مع هذين السفيرين[65]، وبيّن أنّه استعان بيوسف بن وقّار في الحصول على أخبار ملوك قشتالة، ويظهر في نص رواية ابن الخطيب الاحترام المتبادل بينهما، إذ يقول: " وقد كنت طلبت شيئا من ذلك – أخبار ملوك قشتالة- من مظنّته، وهو الحكيم الشهير، طبيب دار قشتالة وأستاذ علمائها، يوسف بن وقّار الاسرائيلي الطليطلي، ولما وصل إلينا في غرض الرّياسة عن سلطانه "[66]، ثمّ ينقل ابن الخطيب ما جاء في رسالة ابن وقّار إليه بقوله: " قال الحكيم: سألت أعزّك الله وأدام كرامتك أن أُثبت لك ما تحقّق عندي من التّواريخ التي وقع فيها نسب ملك قشتالة وتفرّع ملوكها، فأُثبت لك ذلك ممّا استخرجته من الكتاب الذي أمر بعمله الملك الأعظم دون الفنش، قصدت أن يكون ذلك عندك بأصل "[67].

كلّ هذه الشواهد التاريخيّة كانت كافية لإبراز مدى المعاملة الحسنة التي كان يلقاها أهل الذمّة في الأندلس زمن الموحّدين ومن بعدهم بني الأحمر، إذْ لم تخرج هذه المعاملة في مُجملها عمّا كان قبل هذين العهدين.

يتّضح ممّا سبق مقدار المعاملة الحسنة التي حظيَ بها أهل الذمّة في الأندلس من طرف المسلمين، سواء تعلّقت هذه المعاملة بالحياة العامّة المشتركة فيما بينهم وما شملها من خصومات ونزاعات في مجالات البيوع والأحباس والملكيات، والتي كان القضاة المسلمين قائمين فيها بالقسط، أو ما تعلّقت بالحياة اليوميّة الخاصّة بأهل الذمّة حيث تُركت لهم الحريّة الكاملة في ذلك.

المبحث الثاني: أثر معاملة المسلمين الحسنة لأهل الذمّة في الأندلس في نشر الإسلام

كان للمعاملة الحسنة التي انتهجها الفاتحون المسلمون تجاه أهل الذمّة في الأندلس، من إقامتهم للعدل، وقمع الظلم، وكفلهم للحريات، الأثر الطيّب في اعتناق الكثير منهم الدين الإسلامي، خاصة الطبقات التي كانت مضطهدة خلال الحكم القوطي[68].

---

(60) نفسه، ص97.

(61) خالد يونس عبدالعزيز، الخالدي: المرجع السابق، ص261.

(62) نفسه، ص. ص262-263.

(63) لسان الدين، ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ق2، ص333.

(64) نفسه، ص322.

(65) نفسه، ص. ص332-333.

(66) ابن الخطيب، المصدر السابق، ق2، ص322.

(67) ابن الخطيب، المصدر السابق، ق2، ص322.

(68) صالح إدريس، محمد: المرجع السابق، ص407.

ففي عهد الولاّة دخلت في الإسلام مجموعات كبيرة، إذ يُذكر عن الوالي عقبة بن الحجاج أنّه أسلم على يديه ألف رجل[69]. ولمّا دخل عبد الرحمان بن معاوية الأندلس وأقام الدولة الأموية هناك، تحوّل على عهده كثير من النصارى إلى الإسلام، ولعل الأمير عبد الرحمان بذل جهودا كبيرة في دعوة غير المسلمين للإسلام، مع التسامح والاعتدال والوسطية، وحسن المعاملة التي كانوا يلقونها[70].

وفي عهد الأمير عبد الرحمان بن الحكم استمر دخول النصارى إلى الإسلام، حيث تحولت مجموعة كبيرة منهم إلى الإسلام عن قناعة كاملة ومعرفة تامة[71]، كما كان هناك أفراد ذُكروا بأسمائهم دخلوا في الإسلام، مثل الكاتب قومس بن إنتنيان[72]، وصمويل أسقف البيرة الذي أسلم في أواخر عصر الإمارة[73]، وابن همشك[74]، ومن بين اليهود الذين أسلموا وذكرت أسماؤهم نذكر أبو الفضل حسداي بن يوسف أحد وزراء المقتدر بن هود في بلاط سرقسطة[75]. فضلا عن عدد هام ممّن أسلموا، حتى إنّ ظاهرة دخول اليهود للإسلام أصبحت شائعة، وأصبح العامة الأندلسيون يطلقون مصطلح "أسلمي" على كل من أسلم من اليهود[76].

واستمرّ دخول أهل الذمّة في الإسلام عبر مختلف عصور الأندلس، ففي عصر الخلافة (316-399ه) تحول العديد من غير المسلمين إلى الإسلام[77]، وفي عصر المرابطين اعتنق مسيحيي إشبيلية الإسلام بكيفية جماعية، اعتبرت أهم نموذج لاعتناق المسيحيين للإسلام[78]، أمّا عصر الموحدين فنجده هو الآخر قد شهد دخول العديد من أهل الذمّة للإسلام[79].

والراجح أنّ التسامح الديني، والمعاملة الحسنة التي كان يلقاها أهل الذمّة في الأندلس من طرف المسلمين، والسلوكيات الحضارية الراقية هي التي جعلت هؤلاء يعتنقون الإسلام، ويقبلون عليه عن بيّنة واقتناع، استيعابا منهم لحقيقته، وإدراكا منهم لأبعاده ومراميه.

على عكس ما ذهب إليه بعض المؤرخين الفرنج من أنّ انتشار الإسلام في الأندلس يعود لأسباب مادية، فيذهب المؤرخ سيمونيت إلى أنّ النبلاء أسلموا من أجل الحفاظ على أملاكهم، أو هربا من الجزية التي ترمز إلى

---

(69) ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص29.

(70) صالح إدريس، محمد: المرجع السابق، ص407.

(71) محمد عبد الله، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ق1، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص515.

(72) عبادة، كحيلة: المرجع السابق، ص192.

(73) نفسه، ص193.

(74) ابراهيم القادري، بوتشيش: "محطات في تاريخ التسامح بين الأديان والشعوب بالأندلس"، المرجع السابق، ص86.

(75) سامية، جباري: المرجع السابق، ص129.

(76) ابراهيم القادري، بوتشيش: "محطات في تاريخ التسامح بين الأديان والشعوب بالأندلس"، المرجع السابق، ص87.

(77) صالح إدريس، محمد: المرجع السابق، ص409.

(78) ابراهيم القادري، بوتشيش: "محطات في تاريخ التسامح بين الأديان والشعوب بالأندلس"، المرجع السابق، ص87.

(79) بيير، غيشار: "التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين"، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة: مصطفى الرقي، المرجع السابق، ج2، ص986.

المهانة، أمّا عامة الشعب من فقراء ورقيق فأسلموا من أجل تحسين أحوالهم التي كانت متردية، كما أنّ عددا من النصارى أسلم، لاعتقاده أنّ انتصار المسلمين، معناه صحة عقيدتهم ووهن عقيدة من سواهم[80].

ليس هناك ما يدل على صحّة هذه الأسباب التي أوردها سيمونيت، حيث لم تكن ثمّة ضرورة مادية ملحة، لأن يفارق أحد من النصارى دين آبائه، لأنّ المسلمين أبقوهم على أحوالهم التي كانوا عليها، بل إنّ هذه الأحوال تحسنت إلى حد كبير، فقد سمح لهم المسلمون بأن ينظموا أنفسهم، وفق ما تقضي به شرائعهم، بل سمحوا لهم أحيانا بقدر من الاستقلال في مناطق الثغور، وأجازوا لهم تملك الأرض، وشغل عدد منهم مناصب كبيرة في الدولة، ولم يتعسّفوا معهم في جباية الأموال، ولم يفرضوا عليهم قيودا معينة في لباسهم، ولم نسمع عن كنيسة تهدّمت أو حُوّلت إلى مسجد إلاّ في أحوال نادرة[81].

هذه المعاملة الحسنة من طرف المسلمين، كانت السبب المباشر في دخول هؤلاء النصارى وغيرهم من اليهود إلى الإسلام، وقد اعترف المؤرخ توماس أرنولد بتسامح المسلمين الكبير ومعاملتهم الحسنة لأهل الذمة في الأندلس فقال: "أما عن حمل الناس على الدخول في الإسلام، أو اضطهادهم بأي وسيلة من وسائل الاضطهاد، فإنّنا لا نسمع عن ذلك شيئا، وفي الحق أنّ سياسة التسامح الديني التي أظهرها هؤلاء الفاتحون نحو الديانة المسيحية، كان لها أكبر الأثر في تسهيل استيلائهم على هذه البلاد"[82]. ثم يقول: "لا يسعنا إلاّ الاعتراف بأنّ تاريخ إسبانيا في ظل الحكم الإسلامي، يمتاز ببعده بعدا تاما عن الاضطهاد الديني"[83].

هذا التسامح الكبير والمعاملة الحسنة التي تخلّق بها المسلمون، والتي كانت نابعة عن وسطية الإسلام واعتداله، وعدم تطرّفه حيال الديانات الأخرى، أدّت إلى اقبال الكثير من أهل الذمّة على اعتناقه، وفي ذلك يقول أرنولد أيضا: "وقد بلغ من تأثير الإسلام في نفوس معظم الذين تحولوا إليه، من مسيحيي إسبانيا مبلغا عظيما، حتى سحرهم بهذه المدنية الباهرة"[84].

الخاتمة:

نخلص في نهاية بحثنا إلى مجموعة من النتائج نوردها كالآتي:

– وجد السكان الأصليون للأندلس (النصارى واليهود) في الفتح الإسلامي متنفسا جديدا مريحا، مغايرا تماما للذي كانوا عليه إثر حكم القوط.

– عامَل الحكّام المسلمون الذين تعاقبوا على حكم الأندلس أهل الذمّة أحسن المعاملة، حتى أصبحت سمة المعاملة الحسنة، من سماتهم الدائمة واللصيقة بهم.

---

[80] عبادة، كحيلة: المرجع السابق، ص. ص183–184.

[81] نفسه، ص184.

[82] السير توماس، و. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخران، ط1، مكتبة النهضة، مصر، 1947م، ص120.

[83] نفسه، ص125.

[84] نفسه، ص125.

– كان لسياسة التّسامح والاعتدال والوسطيّة التي انتهجها المسلمون تجاه أهل الذمّة، الأثر الطيّب في اعتناق الكثير منهم الدين الإسلامي طواعية، دون إكراه أو اضطهاد يُذكر.

– اعترف الكثير من مؤرّخي الغرب المنصفين بوسطية الإسلام واعتداله، وذلك على إثر المعاملة الحسنة التي كان يلقاها أهل الذمّة في الأندلس من طرف المسلمين.

– تبقى سمات التّسامح والاعتدال والوسطيّة، سمات خاصة بالدين الإسلامي وفقط، إذْ لم تعرف قواميس كل الديانات والفلسفات والحضارات السابقة هذه المفردات.

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر:

- القرآن الكريم برواية حفص.
- ابن قيّم، الجوزيّة: أحكام أهل الذمّة، ط2، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان و ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، ج4.
- أبو بكر، الطرطوشي: سراج الملوك، د. ط، المطبعة الأزهرية، القاهرة، 1319ه.
- أبو العباس أحمد بن يحي، الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، د. ط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م، ج11.
- أبو الوليد محمد، ابن رشد: فتاوى ابن رشد، السفر3، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م.
- عبد الملك، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة- تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين-، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- عبد الواحد، المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، د. ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963م.
- علي بن أحمد، ابن حزم: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، د. ط، مكتبة القدس، القاهرة، 1357ه.
- عيسى بن سهل، أبي الأصبغ: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاّف، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1980م.
- لسان الدين، ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ق2.
- محمد بن أحمد، ابن عبدون وآخران: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، د. ط، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

2-المراجع:

- إبراهيم القادري، بوتشيش: "محطات في تاريخ التسامح بين الأديان والشعوب بالأندلس"، ضمن كتاب الحضارة

الإسلاميّة في الأندلس ومظاهر التسامح، ط1، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، المغرب، 2003م.

- إبراهيم القادري، بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، د. ط، دار الطليعة، بيروت، 1997م.

- إسرائيل، ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. م، 1936م.

- بيير، غيشار: "التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين"، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة: مصطفى الرقي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ج2.

- حسن، الواركلي: "فضاء التواصل الحضاري بين المسلمين وأهل الذمّة في آثار فقهاء الأندلس"، ضمن كتاب الحضارة الإسلاميّة في الأندلس ومظاهر التسامح، ط1، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، المغرب، 2003م.

- حسين، قصي: موسوعة الحضارة العربية، ط1، د. ن، بيروت، 2005م.

- خالد يونس عبد العزيز، الخالدي: اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (92-897هـ/711-1492م)، د. ط، مطبعة ومكتبة دار الأرقم، فلسطين، 2011م.

- خليل إبراهيم، السامرائي وآخران: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000م.

- ريموند، شايندلين: "اليهود في إسبانيا المسلمة"، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة: مريم عبد الباقي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م ، ج1.

- سامية، جباري: الأدب والأخلاق في الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2009م.

- ستانلي، لين بول: قصة العرب في إسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، د. ط، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012م.

- السير توماس، و. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخران، ط1، مكتبة النهضة، مصر، 1947م.

- صالح ادريس، محمد: تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس من بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، كليّة الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، السعوديّة، 1414هـ.

- عبادة، كحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، ط1، د. ن، د. م، 1993م.

- عبد المجيد محمد، بحر: اليهود في الأندلس، د. ط، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م.

- عمر، قريشي: سماحة الإسلام، ط3، مكتبة الأديب، السعودية، 2003م.

- عيسى، ابن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية اقتصادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

- ليفي، بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، د. ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

- مارغريتا لوبيز، غوميز: "المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس"، ضمن كتاب الحضارة العربية

الإسلامية في الأندلس، ترجمة: أكرم، ذا النون، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ج1.

- محمد الأمين، بلغيث: نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- محمد عبد الله، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ق1، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.
- محمد، بنشريفة: "حول التسامح الديني وابن ميمون والموحدين"، مجلة دراسات أندلسية، ع14، مطبعة المغاربيّة للطباعة والنشر والإشهار، تونس، جوان 1995م.
- محمود علي، مكي: "التسامح الإسلامي: الأندلس نموذجا"، ضمن كتاب الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، 2003م.
- مسعود، كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1990-1991م.
- نوارة، شرقي: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين(524-667هـ/1126-1268م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008م.
- يوسف شكري، فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993م.
- يوسف، القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د. ن، د. ت.